الحارس

دراما في سبع لوحات

تأليف

يوسف مسلم

الشخصيات:

الرجل الأول

الرجل الثاني

الرجل الثالث

المنظر:

فضاء صحراوي على حدود قرية مهجورة.. نتوءات وصخور في أماكن متفرقة.. في اليمين ثلاثة قبور على ربوة مرتفعة.. في اليسار كوخ متهالك.. ثمة جهاز اتصال بدائي ملقى على الأرض في الخلفية سور من الأسلاك الشائكة يطوق المكان خلفه منظر عام للسماء.

ملاحظات:

* منظر السماء في الخلفية يستخدم لتوضيح التوقيت الزمني الذي تدور فيه اللوحة.

* الرجل الثاني يمر بقفزات عمرية بمرور اللوحات ينبغي مراعاتها في الماكياج الخاص بالممثل الذي سيلعب دوره

* المسرحية مكونة من سبع لوحات تقدم دونما استراحة.

-1-

وقت الغروب
السماء شاحبة في الخلفية،
والشمس تتوهج بلون برتقالي.

(الرجل الأول يذرع المكان بخطي عسكرية نشطة، وهو رجل عجوز، نحيف للغاية و مع ذلك فقامته منتصبة بتحد.. شعره مهوش بعض الشئ، أبيض تماما،وكذلك لحيته التي تغطي عنقه.. يرتدي ملابس شديدة الأهتراء، تشبه إلي حد كبير ملابس فرق الكشافة.. يضع علي رأسه (بيريه) (قلنسوة) وعلي صدره عدد من الأوسمة العسكرية المصطنعة (الأوسمة مصنوعة يدويا من قصاصات الأقمشة والقطع المعدنية الصدئة)..يمسك ببندقية عتيقة الطراز..من حين إلي آخر يتوقف ليعدل من وضع البيريه علي رأسه أو يهندم من ملابسه - كل هذا يفعله بانضباط واعتداد بالنفس شديدين، ثم يواصل الخطو..يتوقف أمام القبور الثلاثة ويؤدي التحية العسكرية بإخلاص واضح ثم يواصل الخطو.. فمن

الواضح أنه في نوبة حراسة.. لحظات ثم نسمع عواء ذئب ينبعث من الخارج، ينتفض الرجل الأول وصوب البندقية في جهات متفرقة دون أن يطلق الرصاص ودون أن يبدو عليه الخوف، يبتعد عواء الذئب تدريجيا حتى يتلاشي تماما،تهدأ حركة الرجل ثم يواصل خطواته العسكرية.. بعد لحظات يتوقف الرجل ويتطلع جهة اليسار يظلل عينيه بكفه كأنما يراقب شيئا ما بالأفق.. يهرول جهة اليمين ويتواري خلف القبور.. يدخل الرجل الثاني من جهة اليسار وهو شاب في مقتبل العمر، يرتدي ملابس مماثلة لملابس الرجل الأول..لكنها نظيفة رغم كونها غير مهندمة.. لا توجد علي صدره أية أوسمة،كما أنه لا يحمل سلاحاً.. ذقنه نابتة بعض الشئ..يبدو متعبا فهو يسير مجرجراً ساقيه،يلهث بصوت مسموع..يتطلع في المكان مستغربا سح جبهته بظهر يده.... يظهر الرجل الأول متسللا من وراء الرجل الثاني ثم يفاجئه مصوبا البندقية نحوه)

الرجل الأول: (فور ظهوره، بنبرة آمرة) قف عندك.

الرجل الثاني: (يتوقف فزعاً)

الرجل الأول:استدر وإياك أن تجري.

الرجل الثاني: (ينفذ)

الرجل الأول: اجث علي ركبتيك.

الرجل الثاني: (ينفذ)

الرجل الأول:(يقترب منه مثبتا البندقية في رأسه) من أنت ؟!

الرجل الثاني: (يهم بالكلام فيقاطعه الرجل الأول)

الرجل الأول: (بحدة) لا تتكلم.. (لحظة صمت) ما الذي أتي بك إلي هنا ؟!

الرجل الثاني : (يهم بالكلام فيقاطعه الرجل الأول مرة أخري)

الرجل الأول: (بحدة بالغة) قلت لك لا تتكلم..

الرجل الثاني: (يهز رأسه مرتبكا)

الرجل الأول: (يدور حول الرجل الثاني عدة دورات متأملا إياه، ثم يتوقف في مواجهته ويقول بعد لحظة صمت) انهض

الرجل الثاني: (ينفذ)

الرجل الأول: (بعد أن أنزل البندقية) لماذا ترتدي الملابس العسكرية ؟!

الرجل الثاني: (يصمت مرتبكا)

الرجل الأول: (بحدة) تكلم.

الرجل الثاني: (مترددا) ليست ملابس عسكرية.

الرجل الأول: آه.. أنت تنتحل صفة جندي إذن..

الرجل الثاني : لالالالا..لكن...

الرجل الأول: (يقاطعه بعنف) لكن ماذا ؟..(يصوب البندقية نحوه ثانية) عرفتك..لابد أنك من الغزاة..أنا أعرفكم واحداً واحداً.. خمسون عاماً هنا.. خمسون عاما أحرس موقعي و أنتظركم لأريكم كيف يكون المحارب

الرجل الثاني : (فزعا) لالالا.. أقسم أني....

الرجل الأول: (بعنف شديد) تكذب.

الرجل ألكذب.: لالا..أنا لا أكذب..أرجوك..صدقني...

الرجل الأول: أنا لا أصدق إلا نفسي.

الرجل الثاني : إننى... إننى... إننى أحد مواطنيك..

الرجل الأول: (يصمت مندهشا)

الرجل الثاني: (يهز رأسه من أعلى إلى أسفل مرتبكا) من المدينة.

الرجل الأول: (يتغير انفعاله بشكل مفاجئ) آه.. من المدينة.. (بمودة زائدة) أهلا أهلا أهلا.

الرجل الثاني: (مازال مرتبكا) شكراً.

الرجل الأول: أقول أهلا

الرجل الثاني: وأقول شكراً.

الرجـل الأول: آه.. حقـا..لم أسـمعك جيـدا.. اعـذرني أيهـا السـيد فأنـا... (يصـمت كمـن لا يجـد مـا يقولـه ثـم ينطلـق فجأة) وكيف حال أهل المدينة ؟

الرجل الثاني: بخير.

الرجل الأول: أكلهم بخير.

الرجل الثاني: أجل..ألك أهل هناك ؟

الرجل الأول: (بنبرة حنـين) هييييـه... كـل الأهـل هنـاك، الزوجـة، والولد، والجيران.

الرجل الثاني: (محاولا التودد إليه) أمن المدينة أنت ؟

الرجل الأول: (باستغراب) كلا.. إننى من هنا.

الرجل الثاني : (يصمت مندهشا)

الرجـل الأول: (يواصـل) مـن هـذه القريـة (يشـير إلـى مـا خلـف السور)

الرجل الثاني: قرية...أهذه قرية ؟

الرجل الأول: كنا نسكنها جميعا في سلام حتى جاء الغزاة فهاجر الجميع إلى المدينة؟

الرجل الثاني: ولماذا لم تهاجر معهم ؟!

الرجل الأول: (محتدا) و من يحرس القرية إن أنا هاجرت و الغزاة كـانوا علـى الأبـواب، مـن هنـا دخلـوا بجيوشـهم،

يجتاحون القرى قريةً قريةً.. همج. ماءنا الطاهر، ذبحوا نخيلنا العالي، وأدوا سنابلنا الذهبية..... همج... أوغاد... تحت أحذيتهم الثقيلة استحال الطمي رمالا شاحبة بلون الموت.

الرجل الثاني: لكنهم خرجوا ثانية.

الرجل الأول: أجل... خرجوا.. من هنا أيضا كان خروجهم...لكنهم سيعودون..سيعودون.. أنا أعرفهم واحداً واحداً... من هنا مروا على جسدي.. دخولهم و خروجهم فتت عظامي.... لكنهم سيعودون..سيعودون.. أنا أعرفهم جيدا.. واحداً واحداً... خمسون عاماً وأنا.........:...

(تذوب الكلمات على لسانه)

(لحظات صمت... الرجل الأول يبدو شارداً بينما الرجل الثاني يرمقه بارتياب ثم يتلفت حوله ويحاول التسلل إلى الخارج)

الرجل الأول: (يباغته محتدا) قف وإلا فجرت رأسك...

الرجل الثاني: (يتوقف مرتبكا) كنت سأستريح قليلا..

الرجل الأول: (بمودة مفاجئة) آه... أنت متعب... أليس كذلك ؟!!

الرجـــل الثـــاني : (يهــز رأســه مؤكــدا) مممـــم.. متعب.متعب..........

الرجل الأول: (بفرحـة طفوليـة) لقد عرفتك.. القيادة أرسلتك إلـيّ لتعاونني في الحراسة..

الرجل الثاني : هه !!!

الرجل الأول: أجل.. لطالما طلبت منهم ذلك... خمسون عاما ألح في طلبي هذا وهم لا يجيبون، حتى كدت أيأس من ذلك... لكن ها هم أخيرا أرسلوك إلـيّ...

الرجل الثاني: يبدو.........

الرجل الأول: (يقاطعه) أعرف... أعرف... لديك أخبار من الولد وأمه.. قل لي.. كيف حالهما؟.. أهما بخير ؟

الرجل الثاني : إننى....

الرجل الأول: (يقاطعه) و الجيران (بحزن) أمات أحدهم ؟

الرجل الثاني: (يهم بالكلام فيقاطعه الرجل الأول)

الرجـل الأول: خمسـون عامـا ليسـت بالمـدة القصـيرة.. لابـد أن بعضـهم قد مات لكن قل لـي، الولد، أمازال يتعب أمـه (باســما) أعــرف كــم كــان شــقيا فــي صــغره.. ولا العفاريت الزرق.. كان لا يحلو لـه اللعب إلا هناك.. فوق الربوة.. (يشير إلى القبور الثلاثة).. كان يصنع

سيفا من جريد النخل ويمتطى الخمارة كأشجع الفرسان ويصرخ بجسارة (مقلدا صوت طفل) إنني قادم إليكم أيها الشياطين، سأحاربكم حتى أقتلكم جميعا...

الرجل الثاني: اسمح لي.......

الرجل الأول: (يقاطعه) أمه كانت تخاف عليه كثيرا.... تقول أن الربوة مليئة بالأشباح والجنيات..و كانت تخشى أن تخطفه إحداهن.. لكنه كان دائما يعود منتصرا.. طبعا.. من شابه أباه فما ظلم........

الرجل الثاني: (يصمت مغتاظا)

الرجل الأول: أعرف لماذا أنت صامت.... إنك قلق بشأن هذه الربوة...إياك أن تكون قد صدقت المرأة..أنت تعرف أن خيال الريفيات غالبا ما يفيض بمثل هذه الحواديت...أعرف أن الربوة تعلوها القبور لكنها ليست جبانة أيها الفتى.... أقصد أنها ليست جبانة عادية.... أتعرف لمن هذه القبور الثلاثة ؟

الرجل الثاني: (يهم بالكلام لكن الرجل الأول يقاطعه)

الرجل الأول: إنها ثلاثة رجال ذوى شأن..أجل.. ذوى شأن.. باختصار هم ثلاثة رجال عظام ممن يندر أن يجود

بأمثالهم هذا الزمان.. ولذلك كان الولد يحب دائما أن يلعب بين قبورهم... كان يتمنى أن يصبح مثلهم.. قل لي، أمازال يلعب تلك اللعبة هناك ؟!!..(يضحك) لالالا..لا أظن أن بالمدينة ربوات كهذه..كما أنه ليس بالمدينة رجال عظام كرجالنا..عذرا..لم أقصد السخرية من رجال المدينة... لكن....

الرجل الثاني : أرجوك اسمعني..........

الرجل الأول: (يقاطعه) أظن أن الولد كبر الآن.. اجل كبر..فخمسين عاما ليست بالمدة القصيرة.. قل لي.. هل دخل المدرسة ؟...اجل أجل،لابد أنه دخل المدرسة..

الرجل الثاني : (يهم بالكلام فيقاطعه الرجل الأول)

الرجل الأول: وربما أصبح ضابطا كما كان يأمل... لماذا لم يرسلوه معك ليعاوننا في الحراسة ؟!!... كان الرجل الأولى أن يرسلوه معك أو بدلا منك...

(تمر فترة صمت)

(الرجل الأول يشرد ذهنه بينما الثاني يبدو ضجرا)

الرجل الأول : (ملتفتا إلي الرجل الثاني بمودة) لم لا تتكلم ؟

الرجل الثاني: (بنفور) وهل تركت لي فرصة كي أتكلم ؟!!!

الرجل الأول: تكلم يا سيدي..تكلم.. لا أحد يمنعك من الكلام.. تكلم يا.....

الرجل الثاني: (يقاطعه صارخا) القيادة لم ترسلني إليك...

الرجل الأول: (بعد لحظة صمت) آ هـ... ولدي هو الذي أرسلك إذن... لماذا... ؟!

الرجل الثاني: (يقاطعه بصبر نافد) يا عم أنا لا أعرف ولدك مطلقا..

الرجل الأول: ألست من المدينة ؟!

الرجل الثاني: بلى منها.. ولكنني لا أعرف ولدك..

الرجل الأول: كيف تكون من المدينة ولا تعرف ولدى ؟

الرجل الثاني: ومن يكون ولدك حتى أعرفه ؟.... أهو شخصية عامة ؟.. سياسي شهير.. لاعب كرة.. ممثل.. بالطبع لا.....

(الرجل الأول يصمت بائسا)

الرجل الثاني: (بعد لحظة صمت) اسمع يا عم.. المدينة كبيرة، كبيرة جدا، وليس بالضرورة أن يعرف المرء كل من فيها.....

الرجل الأول: (يحتد عليه بشكل مفاجئ) ولماذا ترتدي الملابس العسكرية إذاً ؟!!

الرجل الثاني: هذه ليست ملابس عسكرية.. إنها ملابس كشافة..

الرجل الأول: ماذا ؟!!

الرجل الثاني: كشافة.. إننى عضو في فريق الكشافة..

الرجل الأول: آه.. أعرف.. أعرف.. في شبابي كنت عضوا في فريق كهذا.. لكن.......

الرجل الثاني: (يقاطعه وقد نفد صبره) وتهت منهم..

الرجل الأول: تهت..آه.. (بنبرة غاضبة) لابد أنك لا تلتزم بالأوامر و النظام.. عندما كنت في...

الرجل الثاني : (يقاطعه) ياعم،أرجوك ليس هذا وقته... قل لي.. أتعرف دروب الصحراء ؟

الرجل الأول: وهل هناك من يعرف دروب الصحراء أفضل مني... أنا أعرفها شبراً شبراً و صخرةً صخرةً... خمسون عاما و أنا.........

الرجل الثاني: (يقاطعه) أرجوك أريد أن أصل إلى المدينة....

الرجل الأول: امممم ... تريد أن تصل إلى المدينة... حسنا سأصف لك الطريق.... لكن.......

الرجل الثاني: لكن ماذا ؟!!

الرجل الأول: الصحراء مليئة بالذئاب واللصوص.

الرجل الثاني: و العمل ؟

الرجل الأول: (يومئ بأنه لا يدرى)

الرجل الثاني: فلترافقني إلى المدينة إذاً.

الرجل الأول: (محتدا) وأترك الحراسة... وحين يعود الغزاة لا يجدوا من يتصدي لهم.

الرجل الثاني: لن يعود احد.

الرجل الأول: (متوثباً كمن جرحت كرامته) بل سيعودون انا أعرفهم واحداً واحداً..

(لحظات صمت)

الرجل الثاني: الا تريد أن ترى ابنك؟

الرجل الأول: ابنى.. آه..لطالما اشتقت اليه... (سكتة) لكننى أكتفى برسائله.

الرجل الثاني: (مندهشا) وهل يرسل اليك ؟!!

الرجل الأول: (بثقة) طبعا.

الرجل الثاني: وهل تصلك رسائله ؟

الرجل الأول: لا

الرجل الثاني: (يصمت مندهشا)

الرجل الأول: (مواصلا) لا.. لا ادري.. ربما تضل طريقها فى الصحراء..

الرجل الثاني: ولماذا لاتأت معى الي المدينة وتراه بنفسك.

الرجل الأول: لا.. لا يجوز أن اترك الحراسة.. إذهب أنت إن اردت لفانا لا أمانع في ذلك..

الرجل الثاني: لن أقوى علي السير بمفردي... ستبلعنى الصحراء..

الرجل الأول: آه.. لماذا لا تبق معى.. فكرة والله... ابق معى حتى يعود اصدقاؤك فيأخذونك معهم...

الرجل الثاني : هنا..

الرجل الأول: (يومئ بالتأكيد)

الرجل الثاني: أتظن أنهم سيمرون من هذا الطريق ؟

الرجل الأول: طبعا.... لا احد يعبر الصحراء الا ويمر من هنا (يتأبطه بمودة ويتجهان الى العمق).. كلهم يمرو عليّ.. الاهل والاصدقاء والغزاه والذئاب واللصوص والحملان... كلهم يمرون عليّ..

(تتلاشى الاضاءة تدريجيا)

-2-

بعد الغروب

السماء رمادية شاحبة

والقمر في أقصى يسار الخلفية، لم يتضح بعد.

(الرجل الثاني نائم بجوار الكوخ يرتعد بردا وتصدر عنه غمغمات غير واضحة، بينما الرجل الأول يذرع المكان في نوبة حراسة، يتوقف قبالة القبور الثلاثة و يؤدى التحية العسكرية ثم يواصل حركته، لحظات ويأتى عواء الذئب.. يصوب الرجل الأول بندقيته في اتجهات مختلفة دون أن يطلق النار)

(الرجل الثانى ينهض فزعا)

الرجل الثاني: اطلق عليه النار.

الرجل الأول: (بثبات) إن اقترب سأ طلق عليه النار.

الرجل الثاني : اطلق عيارا يبعده.

الرجل الأول: لا يجوز أن اهدر الذخيرة.

الرجل الثاني: أتنتظر حتى يأتى ويفترسنا ؟!

الرجل الأول: قلت إن اقترب سأقتله.

تمر لحظات شديدة التوتر دون أن يتكلما، ويستمر خلالها عواء الذئب،الرجل الأول يبدو رابط الجاش بينما الثانى يتملكه الخوف.. يتلاشى عواء الذئب تدريجيا)

الرجل الأول: (وقد أنزل البندقية) ألم أقل لك أنه سيبتعد.

الرجل الثاني: (يزدرد ريقه وهو يلهث بصوت مسموع دون أن يرد)

الرجل الأول: (يواصل بصوت منخفض) انتم أبناء المدينة يركبكم الفزع فور اول بادرة خطر.. هه.. (يبتسم بمرارة) ربما لا تدرى ما عانيته من اهوال هنا.. امام قريتى.. قريتى الميتة.. نعم ميتة.. اعلم ذلك جيدا.. و لا احاول خداع نفسى بعكسه.. (ثم بحدة مفاجئة) لكننى احرسها.. أجل احرسها.. وسأظل على هذا الحال...(لحظة صمت) ما تبعث من جديد (لحظة صمت) لا سبيل آخر لدى..

الرجل الثاني: لكننى لدى سبيل آخر.

الرجل الأول: (مبتسما) المدينة ؟!!

الرجل الثاني: (بتوتر يومئ مؤكدا) المدينة.. نعم.. لن أبق هنا مع الصحراء وصخب الريح والذئاب.

الرجل الأول: (يضحك بهدوء)

الرجل الثاني: اننى أخاف الريح.. في المدينة لا توجد رياح عاصفة كهذه.. لا أريد أن اُدفن في معدة ذئب... سأمضي الي المدينة..

الرجل الأول: المدينة... كانت هى بغية الغزاة.. أجل.. كانت هى بغية الغزاة، شأنها شأن كل المدن في الأرض... تروح من اجلها الآف القرى التى لا حول لها ولا قوة.. لطالما تساءلت لماذا يجتاح الغزاة القرى فيحيلوا وجوهها الطينية الطيبة إلى صفرة باردة كالموت.

الرجل الثاني : ها أنت قلت كالموت وانا اكره الموت.

الرجل الأول: (مبتسما) ألا يوجد موت في المدينة.

الرجل الثاني: يوجد.. ولكن ليس بهذه القسوة.. فالموت هناك يجيئنا كاللص، يسرق الروح من البدن، ويمضى دون أن نشعر.. حتى في الحوادث البشعة وجرائم القتل، لا نرى ذلك الوجه الأسود للموت.

الرجل الأول: (متهكما) الموت عندكم له وجه وردي.. يأتيكم باسما.. لأنه يعرف أن قلوبكم خفيفة كقلوب النساء.. أما نحن فقد أتانا الموت عابس كالغضب، تفوح منه رائحة الجوع الزنخة ومع ذلك فلم أكن

اخشاه.. خمسون عاما يحز الموت عنقى بمنجله
وكلما نزفت قطرة دم تفجر مكانها نهرٌ في عروقي
كى أحرس ميراث أهلي..

الرجل الثاني: (بحدة) ليس هذا شأنى.

الرجل الأول: (ثائرا) بل شأنك وشأنى.. شأننا جميعا...

الرجل الثاني: (مرتجفا) سأمضي الي المدينة.

الرجل الأول: وحدك.

الرجل الثاني: ستصحبنى.

الرجل الأول: (يومئ بالرفض)

الرجل الثاني: أرجوك.

الرجل الأول: إننى ارافق الموت و أنتظر الغزاة وحين يعودون لن يهزموننى هذه المرة.

الرجل الثاني: وولدك ؟

الرحل الرجل الأول: سيأتينى ذات يوم ليعاوننى في الحراسة.. فانا على يقين من ذلك.

الرجل الثاني: يقينك أجوف.

الرجل الأول: (يصوب البندقية الى رأسه ثائرا)

(لحظات صمت.. الثانى يرتعد والرجل الأول يهم بالضغط علي الزناد ثم يتراجع.. يخفض البندقية ويعتصر ماسورتها بكفه)

(الرجل الثانى ينهار على الأرض لاهثا)

الرجل الأول: (بغيظ مكتوم) أنت الذى دفعتنى الي ذلك.. لكننى أحمد الله أنى ضبطت نفسي في اللحظة الأخيرة.

الرجل الثاني: أتهمك حياتى ؟

الرجل الأول: لا يجوز أن أهدر الذخيرة. فانا أدخرها للغزاة.

الرجل الثلنى : و حياتى.. لاتعنى لك شيئا ؟

الرجل الأول: (يصمت)

الرجل الثاني: يداخلنى شعور أنك تكذب.

الرجل الأول: (بحدة) لا تدفعنى الى إهدار الذخيرة.

الرجل الثاني: اهدرها إن شئت ومع ذلك فانت تكذب.. ان اصرارك على حراسة المكان ليس هباءً.. انك تفعل ذلك من أجل المدينة.. وأهلها.. لأن بينهم يعيش ولدك وزوجتك وجيرانك.. ربما يكون ولدك أحد أصدقائى..

الرجل الأول: (بلهفة) حقا.

الرجل الثاني: أقول ربما.. لا أدري بالضبط.. لكننى إن عدت الى المدينة سأبحث عن ولدك و أخبره بأنك مازلتَ حيا..
وسأجعله يراسلك لأنك رجل طيب.. وربما أجيئك به.

الرجل الأول: (تزداد لهفته) سيكون معروفا لن أنساه لك ما حييت.

الرجل الثاني: لكننى للأسف لاأعرف الطرق الى المدينة.

الرجل الأول: (يصمت مهموما)

الرجل الثاني: لكنك تعرفه.

الرجل الأول: اجل أعرفه كما أعرف خطوط كفى.

الرجل الثاني: فلماذا لا تأت معى لنبحث عنه سويا ؟

الرجل الأول: (متحفزا ضده بعنف مفاجئ) لا... لن أبرح مكانى حتى استرد روح قريتى.

الرجل الثاني: روح قريتك هناك، مع ولدك.

الرجل الأول: (يصمت شاردا)

الرجل الثاني: إن عدت بولدك هنا، فستعود الى قريتك روحها.. أقسم أن...

الرجل الأول: (يقاطعه) هب أنى طاوعتك وذهبت الي المدينة، فمن يضمن لي أن الغزاة لن يقدموا في غيابي.

الرجل الثاني: لن يحدث.

الرجل الأول: بل يحدث.. أنا أعرفهم واحدا واحدا، خمسون عاما أراهم يتلصصون على (تظهر علي الخلفية ظلال لأشخاص يتحركون) ينتظرون حتى أغفل لحظة كى يجتاحوا البلد كلها (يلمح الظلال فيهرع الي العمق مصوبا البندقية... تتلاشي الظلال) الجبناء، لا يريدون مواجهتى لأنهم على يقين من أنى سأهزمهم هذه المرة.

الرجل الثاني: سراب.. إنك تنتظر السراب.

الرجل الأول: (يقبض على البندقية منفعلا) قلت لا تدفعنى الى اهدار الذخيرة.

(لحظات صمت)

الرجل الأول: (وقد هدأ بعض الشئ) اذهب أنت إن أردت.

الرجل الثاني: (بتحد) سأذهب.

الرجل الأول: (بهدوء أكثر من السابق) أشفق عليك لأنك لن تعرف الطريق..

الرجل الثاني: وفّر شفقتك لنفسك.

الرجل الأول: كما تهوي.

الرجل الثاني: (بعد لحظة صمت) سأمضى.

الرجل الأول: (لا يرد)

الرجل الثاني: ألن تصحبنى ؟!!

الرجل الأول: (يومئ بالرفض)

الرجل الثاني: سأمضى.

الرجل الأول: (لا يرد)

(يتوجه الرجل الثانى نحو الخارج ثم يتوقف لحظة، يلتفت الى الرجل الأول الذى يتصنع اللامبالاة.. الرجل الثاني يبدو مترددا، لكنه يحزم أمره ويخرج)

(الرجل الأول يتطلع نحوه "الثانى " فور خروجه، ثم يتوجه الى نفس المكان الذى خرج منه لكنه يتراجع، ثم يتطلع نحو القبورالثلاثة ويؤدى التحية العسكرية)

الرجل الأول: (بنبرة حزينة) كل شئ يمكن تحمله إلا الوحدة.. ومع ذلك فقد تحملتها طيلة خمسين عاما.. بمقدوري أن أتحملها خمسينا أخرى (لحظة صمت) ربما... (صمت) لو... (صمت) أأرحل معه ؟!.... و القرية... لمن أتركها... للذئب... أم للغزاة.. آه.... لك وحشة أيها الولد.... ياللحيرة....

(يأتي عواء الذئب وتتحرك الظلال على الخلفية.. الرجل الأول ينتفض مصوبا البندقية.. تتلاشى الظلال ويستمر عواء الذئب..ينظر إلى الجهة التي

خرج منها الرجل الثانى وعلى وجهه إيماءة فزع.. يجمد المشهد للحظات ثم تتلاشى الإضاءة تدريجيا.. ويستمر عواء الذئب خلال الظلام بضع لحظات ثم يخفت)

(تدريجيا حتى يتلاشي تماما)

-3-

في جوف الليل
القمر يتوسط الخلفية متألقاً

(الرجل الأول يحاول التحدث خلال جهاز الإتصال بينما الرجل الثاني يذرع المكان بخطى متوترة للغاية وقد طرأت عليه بعض التغيرات في هيئته بما يوحي بمضي عده أسابيع فقد إهترات ملابسه بعض الشيء وإستطالت لحيته قليلاً)

الرجل الأول: آلو.. آلو.. آلو..

الرجل الثاني: خرب.. الجهاز خرب..

الرجل الأول: (يرمقه بحده ثم ينصرف إلى محاولاته مع الجهاز دون أن يتكلم)

الرجل الثاني: (بعنف) ماذا تفعل؟.. قلت لك الجهاز خرب ولن تستطيع إصلاحه.

الرجل الأول: (بهدوء وحزم) أكره أن يحبط أحد من عزيمتي..

الرجل الثاني: (ساخراً) عزيمتك!!

الرجل الأول: تسخر مني؟؟

الرجل الثاني: أنت مجنون.. ما الذي يبقينا هنا؟؟
الرجل الأول: (محاولاً ألا يفقد صبره) إذهب أنت إن أردت.
الرجل الثاني: وأنت؟
الرجل الأول: سأنتظر (سكتة قصيرة) سأنتظر الغزاة ورسائل ولدي..
الرجل الثاني: (ثائراً) إذهب أنت والغزاة وولدك إلى الجحيم..
(لحظات صمت.. كلاً منهما يحدق في الآخر بتحد)
الرجل الثاني: سأمضي..
الرجل الأول: والذئاب؟
(لحظات صمت)
(الرجل الثاني يتراجع نحو الكوخ بينما الرجل الأول ينصرف إلى محاولاته لإصلاح الجهاز)
الرجل الأول: آلو.. آلو..
الرجل الثاني: (مرتاباً) تحسبني ضعيفاً.. لا أستطيع العودة إلى المدينة بمفردي..
الرجل الأول: ينبغي أن تحزم أمرك الآن.. إما أن تذهب وإما أن تبقى.. إنني لا أمنعك عن شيء.. آلو.. آلو..

الرجل الثاني: أنت لا تتصور بشاعة هذا المكان.. لا شيء هنا يبعث على الطمأنينة.. أنظر كيف يبدو الليل من حولك.. شديد الحلكة.. الخوف يرشق عيونه في كل بقعة سواد لايدعني لحالي حتى في وضح النهار..

الرجل الأول: (بسخرية مريرة) العفاريت لا يظهرون بالنهار.. آلو.. آلو..

الرجل الثاني: بل يظهرون.. إني أراهم كل نهار.. صفر بلون الجوع والعطش..

الرجل الأول: إنها الرمال ولسعات الشمس على رأسك الطري..

الرجل الثاني: (بضعف) أيا ما كان.. إنني أكره اللون الأصفر.. كل شيء كريه في المدينة لونه أصفر.. الورق الرسمي.. مكاتب الحكومة.. المدارس.. حتى إبتسامات الجيران الفضوليين في الصباح.. كله أصفر.. أصفر..

الرجل الأول: ذات يوم كان هذا الصفار من حولك بلون الكف المحناه.. بلون العين المكحوله.. طري كالثدي الفائر بالحليب..

الرجل الثاني: لو أنك ذهبت للمدينة يوماً لكنت أدركت لماذا أكره هذا المكان..

الرجل الأول: إن لي في المدينة..

الرجل الثاني: (يقاطعه بحدة مفاجئة) أعرف.. لك زوجة وولد وجيران كثيرون.. سئمت كل كلامك الذي تكرره بنفس البلاهة.. (يقلده).. إني أنتظر الغزاة.. أعرفهم واحداً واحداً.. خمسون عاماً وأنا أنتظرهم لأريهم..

الرجل الأول: (يقاطعه بعنف وينهض) كفى.. كفى.. كفى إستهزاءً بي.. أنت أقل من أن تدرك البلاء الذي أبليته في الحرب مع الغزاة.

الرجل الثاني: وما شأني أنا بحرب إنتهت قبل أن يلتقي أبي بأمي في ليلة سوداء كهذه؟

الرجل الأول: قلت لك اذهب إن أردت ولا تفلق رأسي بعويلك.

الرجل الثاني: سأذهب.

الرجل الأول: (بعد لحظة صمت) إذهب.

(يتجه الرجل الثاني نحو الخارج وقبل أن يخرج يأتي عواء الذئب فيتراجع فزعاً)

الرجل الأول: (يسرع نحو البندقية , يلتقطها ويصوبها وهو يضحك بجنون)

الرجل الثاني: (صارخاًَ) اقتله.. اقتله..

الرجل الأول: (وهو مازال يضحك) أرأيت كم أنت جبان؟!!

الرجل الثاني: ليس هذا وقته.. سيهاجمنا..

الرجل الأول: لن يستطيع.. إنه يهابني لأنه يدرك أنه لو تقدم خطوة واحدة سأرديه قتيلاً.. إذهب وإختبئ بخوفك داخل الكوخ..

(الرجل الثاني يدخل الكوخ وهو في شدة الفزع)

الرجل الأول: (بمفرده الآن.. يصرخ وهو يصوب البندقية حريصاً ألا ينطلق منها الرصاص) أقبل أيها الذئب.. أقبل إن كنت ذئباً بحق.. أقبل كي أذيقك الموت.. إنني لا أخافك (يتعالى صوت الذئب) ولا أخاف الغزاة.. خمسون عاماً أنتظر ملاقاتك وملاقاتهم.. إنهم جبناء مثلك.. ومثل هذا المختبئ بالكوخ.. يتلصصون ولا يجرأون على على الدخول في منطقة نفوذي.. أتسمع أيها المختبئ بالكوخ؟.. إنني هنا في عريني.. لا أحد يجرؤ على الدخول إلى هذا المكان الذي تكرهه.. لا أحد يجرؤ مادمت رابضاً هنا (يتعالى صوت الذئب ويزداد معه إنفعال الجل الرجل الأول لدرجة وحشية) أنا الحارس الأبدي لقريتي ولملايين البشر الجبناء وراء هذه الصحراء.. أنا الحارس الأبدي.. أحمي العشرات من المدن الخسيسة التي تأوي الجبناء.. أنا

الحارس الأبدي.. (يبتعد صوت الذئب تدريجياً حتى يتلاشى.. بينما الرجل الأول يظل يدور في المكان بنفس إنفعاله وهو يردد) أنا الحارس الأبدي.. انا الحارس الأبدي..

(تتلاشى الإضاءة تدريجياً)

-4-

قبل الفجر.

القمر في أقصي يمين الخلفية.

(إضاءة شاحبة.... الرجل الأول بمفرده في نوبة حراسة يكرر نفس حركته المعتاده ويؤدي التحية العسكرية للقبور الثلاثة.... تعصف الريح لكن الرجل الأول مازال لا يبدو متأثراً بذلك... بعد لحظات يدخل الرجل الثاني (خارجاً من الكوخ) وقد طرأت عليه بعد التغيرات توحي بمضي فترة زمنية أكثر أطول.. فقد أستطالت لحيته وشعره بصورة واضحة وإزدادت ملابسه إهتراء.)

الرجل الثاني : (نور دخوله وهو يفرك كفيه) يا لهذا البرد.. (ينظر إلي أعلي) أه.. لقد نمت كثيراً.. أليس كذلك...

الرجل الأول: (لا يرد)

الرجل الثاني : هيه... أنت.. أقول لقد نمت كثيراً هه ؟ !

الرجل الأول: أتحدثني

الرجل الثاني : وهل هناك من أحدثه غيرك وسط هذا الخراب !!

الرجل الأول: ماذا كنت تقول ؟

الرجل الثاني : كنت بسألك هل نمت كثيراً ؟!

الرجل الأول: يبدو كذلك.. (يواصل حركته)

الرجل الثاني : تري كم ساعة نمتها ؟!

الرجل الأول: وماذا يهم في ذلك ؟!

الرجل الثاني : أنني لا أحب كثرة النوم... عندما كنت في المدينة كنت انام ست ساعات يومياً... يقولون أن ست ساعات هي الفترة المثالية لراحة البدن... أليس كذلك ؟!..

الرجل الأول: لا أدري.

الرجل الثاني: (بعد برهة من الوقت صمت ينطلق مؤكداً) هو كذلك (سكتة) في الحقيقة كان برد الشتاء يجعلني أطيل فترة نومي بعض الشيء.. أحياناً كانت تصل إلي الضعف (سكته.. يتثائب شاعراً بالبرد) أو تتجاوزه بثلاث أو أربع ساعات خاصة مع أكلة دسمة كالتي أكلناها أمس........

الرجل الأول: أراك قد أستطبت هذا اللحم.

الرجل الثاني : (مؤكداً) أمممممم.... كان لذيذاً جداً.... أهو لحم غزال.

الرجل الأول: كلا.... كان لحم أبن اوي.

الرجل الثاني : (فزعاً) ماذا ؟!

الرجل الأول: أبن أوي..... هو سبع من سباع الصحراء... شيء يشبه الكلب.

الرجل الثاني : (ليمسك بطنه متألماً) كلب... إيها المجنون... تجعلني أكل لحم كلب.

الرجل الأول: (ضاحكاً) لم أقل كلباً بل قلت شيئاً يشبه الكلب.

الرجل الثاني : سأموت، معدتي تتمزق.

الرجل الأول: (وهو مازال يضحك) ألم تقل أنه لذيذاً...

الرجل الثاني : (محتداً) بل كان سيء... عفن... عفن للغاية أيها العجوز الخرف.

الرجل الأول: أن لم تحفظ أدبك فلن أجعلك تأكل أب أوي مرة أخري.. بل سأجعله يأكلك.

الرجل الثاني : يا رب السماء.... أرحمني من هذا العجوز المجنون.

الرجل الأول: (يضحك بشدة) اهدأ اهدأ... كنت أمزح معك.. لم يكن لحم أبن أوي.

الرجل الثاني : كاذب.

الرجل الأول: أقسم برب السماء... صدقني... لم يكن لحم أبن آوي. بل كان لحم فأر جبلي... اقصد أرنب جبلي.

الرجل الثاني : معدتي آه آه.

الرجل الأول: قلت لك كنت أمزح.

الرجل الثاني : مزاحك ثقيل كالصخر... آه...

الرجل الأول: (يسنده حتي لا يسقط) سأداويك.. لا تقلق.. (يكبش حفنة رمل من الأرض) أفتح فمك.

الرجل الثاني : أترين أن تخشو في الرمل...

الرجل الأول: سيوقف الغثيان... طاوعني...

الرجل الثاني : لا.....

الرجل الأول: (يضع الرمل في فمه عنوة) هيه... هكذا... أبتلع بعضه.. (ثم يتركه)

(لحظات صمت)

الرجل الأول : أنت الأن أفضل... أليس كذلك ؟!

الرجل الثاني : (يوميء بالإيجاب وهو لم يزل تعباً) لماذا تخرج بهذا الشكل المقرف...

الرجل الأول: لم أكن أمزح بل كنت جاداً في حديثي.

الرجل الثاني : معك حق... فلولا الرمل الذي......

الرجل الأول: (مقاطعاً) لا أقصد الرمل بل أقصد اللحم.....

الرجل الثاني : لا أفهم.

الرجل الأول: أن اللحم الذي أكلته كان لحم أبن أوي.

الرجل الثاني : (مبتسماً) ثانية.

الرجل الأول: أنني لا أمزح.... أن ما اكلته كان لحم أبن أوي فعلاً...

الرجل الثاني : الشيء الذي يشبه الكلب.

الرجل الأول: (يومىء بالتأكيد مبتسماً) أتري ؟!... لم يعاودك الغثيان الأن... وأظنه لم يعاودك مرة اخري.

الرجل الثاني : لا زلت لا أفهم شيء.

الرجل الأول: مادمت ستبقي معي فلابد أن تكون رجلاً بحق.. شديد اليأس حتي تتحمل قسوة هذا المكان المقفر.

الرجل الثاني : ألذلك جعلتني أكل لحم الكلب.

الرجل الأول: (مبتسماً) أرأيت أن أصبحت رجلاً بحق... رجلاً يليق بهذا المكان... لم تعد تؤلمك معدتك ولم تعد تشعر بالبرد.

الرجل الثاني : (محتداً) ومن قال أني سأبقي معك هنا ؟

الرجل الأول: (هادئاً) ستبقي.

الرجل الثاني : إيها العجوز اللعين... سأكللك كما أكلت الكلب

(يهجم عليه ويحاول ضربه لكن الرجل الأول يدافع عن نفسه بمهارة شديدة)

(ينهض الرجل الثاني ويحاول تكرار المحاولة لكنه يفشل فالرجل الأول يضربه ضربة شديدة يتألم لها)

الرجل الأول: تحتاج كثيراً من المران.

الرجل الثاني : (متألماً) لو اني تملكت منك يوماً فلن أبقيك حياً.

الرجل الأول: معني هذا انك توافق علي البقاء معي.

الرجل الثاني : (ثائراً) كلا..... سأرحل

الرجل الأول: لن تستطيع الرحيل.

الرجل الثاني : بل أستطيع فقد سئمتك وسئمت جنونك (ينهض)

الرجل الأول: ألا تخشي الذئب.

الرجل الثاني : فيأكلني أفضل من البقاء مع عجوز خرف مثلك

(يتجه نحو الخارج لكن الرجل الأول يستوقفه).

الرجل الأول: (مصوباً البندقيه نحوه) انتظر وإلا قتلتك.

الرجل الثاني : (يلتفت مرتعباً)

الرجل الأول: ستبقي معي.

الرجل الثاني : (أتجرئي علي ذلك)

الرجل الأول: أنني أحميك من الذئاب.

الرجل الثاني : لكنني سأمضي.

الرجل الأول: لن تمضي.

الرجل الثاني : أن بقيت معك سأقتلك يوماً.

الرجل الأول: وأن تحركت خطوة سأقتلك الان.. عد إلي الكوخ..
عد (يدفعه بالندقيه إلي الكوخ ويجبره علي الدخول)

(الرجل الأول بمفرده الأن... تمر فترة صمت)

الرجل الأول: أحتدمت اللعبة يا صديقي ... أحتدمت اللعبة...
أصبح لكل منا مصيره المرتبط بالاخر... كتب عليك
أن تظل معي ولن ينجيك إلا المعجزة حين يعود
أصدقائك الجبناء يأخذونك إلي المدينة. عنئذ سيكون
القدر قد قال كلمته ولن أستطيع ان امنعك من
الرحيل لأنك لن تكون الذي أنتظره

(ظلام مفاجئ).

-5-

في الصباح..

السماء صافية والشمس إتخذت لوناً أصفر باهتاً.

(الرجل الأول نائماً بجوار الكوخ بينما الرجل الثاني يقوم بنوبة الحراسة.. إنه يتحرك فقط ممسكاً بالبندقية دون أن يؤدي التحية العسكرية للقبور كما أن حركته فاترة كأنما يؤدي شيئاً مغصوباً عليه.. تلاحظ أن الرجل الثاني قد طرأت عليه تغيرات أخرى في هيئته توحي بمضي فترة زمنية طويلة بين هذه اللوحة واللوحة السابقة.. فقد إنتشرت في شعره بعض الشعيرات البيضاء في شعره ولحيته التي إستطالت أكثر مما سبق..)

(بعد لحظات يأتي عواء الذئب فنجد الرجل الثاني ينتفض مصوباً البندقية ويهم بإطلاق النار)

الرجل الأول: (ينهض فزعاً) لا.. لا تطلق النار..

الرجل الثاني: سأبعده..

الرجل الأول: (آمراً) قلت لا تطلق النار.

الرجل الثاني: سأبعده.

الرجل الأول: إنه يجيء ويمضي لا أكثر..

(الرجل الثاني يستجيب لأوامره متضايقاً)

(بعد لحظات يبتعد صوت الذئب حتى يتلاشى تدريجياً.. وتمر لحظات صمت)

الرجل الأول: (يتوجه نحو الرجل الثاني ويأخذ البندقية) سأقوم أنا بالحراسة.. نم أنت..

الرجل الثاني: (ينسحب إلى الكوخ مغتاظاً)

(تمر لحظات صمت)

الرجل الأول: (وهو يتحرك في المكان) لم لا تنام؟؟

الرجل الثاني: لا رغبة لي في النوم.

الرجل الأول: (مواصلاً حركته) مازلت تخشى الذئب.

الرجل الثاني: (يبتسم ساخراً ولا يرد)

الرجل الأول: واللون الأصفر..

الرجل الثاني: ماذا فيه؟

الرجل الأول: (مبتسماً) أما زلت ترى عفاريت النهار؟؟

الرجل الثاني: لقد صاحبتهم.. أصبحوا تسليتي.. أعتقد أنهم سيخافونني بمرور الوقت..

الرجل الأول: هذا حسن..

(لحظات صمت)

الرجل الثاني: (ينهض مندفعاً) لمن هذه القبور الثلاثة؟؟

الرجل الأول: نفس السؤال للمرة الألف..

الرجل الثاني: (بإصرار) لمن هذه القبور الثلاثة؟؟

الرجل الأول: أخبرتك سابقاً..

الرجل الثاني: أنت لم تخبرني بشيء.. كلما سألتك تقول: إنها لثلاثة رجال عظام.

الرجل الأول: فعلاً.. إنها لثلاثة رجال عظام.

الرجل الثاني: ولم لا يكونوا أدنياء؟

الرجل الأول: لأنهم عظام..

الرجل الثاني: ولم هم عظام؟

الرجل الأول: لأنهم عظام.. وكفى..

الرجل الثاني: أنت لا تجيد المراوغة ومع ذلك تصر على أن تخفي عني الحقائق.

الرجل الأول: إني لا أخفي عنك شيئاً.

الرجل الثاني: بل تخفي.. فالشهور التي قضيتها معك جعلتني أفهمك بما فيه الكفاية.

الرجل الأول: (بهدوء) أقضيت معي شهوراً؟؟

الرجل الثاني: لا أدري.. ربما سنوات..

الرجل الأول: (يضحك)

الرجل الثاني: لماذا تضحك؟؟

الرجل الأول: (يتزايد في الضحك)

الرجل الثاني: (بعنف) لماذا تضحك؟؟

الرجل الأول: (يستمر في الضحك حتى يصل إلى درجة وحشية)

الرجل الثاني: (ينزوي مهزوماً) تسخر مني.. أعرفك حين تسخر مني.. وأعرفك حين تكذب.

الرجل الأول: (بحده مفاجئة) أنا لا أكذب أبداً.

الرجل الثاني: فلمن هذه القبور الثلاثة إذاً؟؟

الرجل الأول: قلت لك إنها لثلاثة رجال عظم.

الرجل الثاني: (صارخاً) تكذب.. تكذب.. (يصمت لحظة ثم تلمع عيناه بفكره).. ربما تكون زوجتك في واحد منها..

الرجل الأول: لا..

الرجل الثاني: وابنك في آخر..

الرجل الأول: لا..

الرجل الثاني: لكن لمن القبر الثالث؟

الرجل الأول: لا.. لا.. قلت لك أن الولد وأمه في المدينة..

الرجل الثاني: ومن يصدق هذا.. يهجرونك كل هذه السنوات دون أن تعلم عنهما شيئاً.

الرجل الأول: هذا ما حدث.

الرجل الثاني: ربما ماتا.

الرجل الأول: ربما.

الرجل الثاني: وربما قتلا.

الرجل الأول: ربما..

الرجل الثاني: وربما دفنا هنا.

الرجل الأول: لا.

الرجل الثاني: وربما قتلتهما أنت.

الرجل الأول: لا.. لا..

الرجل الثاني: فمن الذي قتلهما..

الرجل الأول: إنهما لم يقتلا.. لم يقتلا..

الرجل الثاني: تصر على إخفاء الحقائق.

الرجل الأول: أنا لا أخفي شيئاً

الرجل الثاني: (صارخاً فيه) قاتل..

الرجل الأول: (يصمت متحدياً)

الرجل الثاني: (يدور حوله) قاتل.. قاتل.. قاتل..

(لحظات صمت)

(يتطلع كل منهما للآخر بحده)

الرجل الثاني: حسن.. هب أني صدقت أن الولد وأمه في المدينة فلم تكون هذه القبور الثلاثة؟؟

الرجل الأول: قلت لك..

الرجل الثاني: (مقاطعاً) لثلاثة رجال عظام.. فلقت رأسي بغموضك الأجوف.

الرجل الأول: حقيقتهم ستعرفها.. ستعرفها دونما إعانة مني.. ستعرفها بمرور الأيام..

الرجل الثاني: بمرور الأيام.. هه.. مرت شهور وربما سنوات ولا أعرف شيئاً. (سكته) لا أدري كم مكثت هنا معك؟ كم مكثت أنت هنا؟

(لحظات صمت)

(كل منهما يتطلع للآخر)

(يواصل الرجل الأول حركته المعتادة بينما الرجل الثاني يتحرك بخطوات عشوائية بلا دف)

(بعد لحظات يندفع الرجل الثاني إلى جهاز الإتصال ويحاول التحدث من خلاله)

الرجل الأول: (يتوقف مندهشاً) ماذا ستفعل؟

الرجل الثاني: سأتحدث إلى القيادة.

الرجل الأول: (مبتسماً) سبق وقلت أنه خرب..

الرجل الثاني: سأحاول إصلاحه..

الرجل الأول: (يضحك ويواصل حركته)

الرجل الثاني: آلو.. آلو.. آلو.. (يضرب الجهاز بقبضته يائساً)

الرجل الأول: أمازلت لك الرغبة في الرحيل؟

الرجل الثاني: (بعد لحظات) لا أدري..

الرجل الأول: أظنك مشتاقاً لأهلك..

الرجل الثاني: هه..

الرجل الأول: مؤكداً.. أنا أعلم هذا الشعور جيداً.. فقد جربته خمسين عاماً..

(لحظات صمت)

الرجل الأول: لم لا تتكلم؟؟

الرجل الثاني: لا أبغي الكلام..

الرجل الأول: لماذا؟؟

الرجل الثاني: يقتلني الشعور بالملل..

الرجل الأول: (بفرحة) أأحكي لك حكاية عن ولدي؟؟

الرجل الثاني: لقد حفظت كل حكايات ولدك.

الرجل الأول: الآن.. إن كنت تريد النوم .. فلا عليك.. سأتولى أنا الحراسة حتى مغيب الشمس..

الرجل الثاني: لا.. لن أنام الآن.. (بعد لحظة صمت) أنا جائع

الرجل الأول: لا طعام لدينا.. إنتظر.. تول أنت الحراسة وسأخرج أنا للصيد..

الرجل الثاني: (بعنف) لا.. سأخرج أنا للصيد..

الرجل الأول: لكنك..

الرجل الثاني: (يقاطعه) أتظنني جباناً.. لست اقل منك قوة ولا جرأة.. سأخرج أنا للصيد ودونما بندقية تماماً كما تفعل أنت..

الرجل الأول: ربما يهاجمك الذئب..

الرجل الثاني: سآكله بأسناني إن فعل.. (يخرج)

(الرجل الأول الآن بمفرده.. يبتسم بفرحة.. ويواصل حركته المعتادة بحماس شديد.. يتوقف أمام القبور.. يؤدي التحية العسكرية.. كل حركاته المعتادة تتخذ شكلاً أشد حماساً وفرحاً.. ثم يأتي عواء الذئب.. يصوب البندقية كما يفعل كل مرة.. يتواصل عواء الذئب للحظات ثم يتلاشى.. واصل الرجل حركته بحماس أشد.. أثناء ذلك تتلاشى الإضاءة تدريجياً)

-6-

وقت الظهيرة.

الشمس في منتصف الخلفية تماماً شديدة التهوج.

(يرقد الرجل الأول في حالة إعياء شديدة بينما الرجل الثاني، الذي إزداد الشعيرات البيضاء أنتشاراً في شعره ولحيته، يحاول التحدث خلال جهاز الإتصال)

الرجل الثاني : ألو... ألو... ألو...

الرجل الأول: أوصلك الرد.

الرجل الثاني : كلا... (لحظات صمت) أواثق أن الجهاز يعمل.

الرجل الأول: أجل.. كان ذلك من زمان بعيد.

الرجل الثاني : سأحاول إصلاحه مرة اخري...

الرجل الأول: حاولت قبلك ألاف المرات... خمسون عاماً أحاول إصلاحه كي أطلب المدد من القيادة... خمسون عاماً...

الرجل الثاني : لا تقلق... سأصلحه..

الرجل الأول: أعرف... تردي الرحيل إلي المدينة وتتركني كما تركني الولد وأمه والجيران أذهب أن أردت لن أهددك مرة أخري.

الرجل الثاني : كلا.. لن أتركك.. سأطلب منهم أن يرسلوا طبيباً.

الرجل الأول: وماذا سيفعل الطبيب.

الرجل الثاني : سينقذك من الموت ثم نرحل معك.

الرجل الأول: حتي وأن أستطعت سأموت قبل أن يصل الطبيب.

الرجل الثاني : لا أرجوك لا تتخلي عني... لن أستطيع البقاء هنا وحدي...

الرجل الأول: حاول إصلاح الجهاز... اريد أن أطمئن علي الولد وقبل ان اموت...

الرجل الثاني : لن تموت.

الرجل الأول: إيمكنك أن تمنع الموت.... وعلي أي حال فلن أموت شقياً... بل سأموت سعيداً... سعيداً لأنني أبليت بلاء حسناً في الحرب مع الغزاه... وأديت واجبي علي الوجه الامثل طيله خمسين عاماً... أجل.. خمسين عاماً.

الرجل الثاني : لا لا لا.. لن تموت...

الرجل الأول: تعلم من الأن علي أن تخشي الموت مادمت تركت لك شأناً في الحياة. حتي وإن لم ير أحد هذا الشأن.

الرجل الثاني : أتموت وتتركني... الن تنظر الغزاه... أنهم قادمون... انهض كي تهزمهم.

الرجل الأول: أنتظرهم انت... أجل.. أنتظرهم انت... فسوف تحل محلي.. أنتظرهم وأنتظر رسائل الولد الذي كان ربما كان صديق حين كنت في المدينة.

الرجل الثاني : سأصلح الجهاز.. لا تقلق سأصلحه وسأجعلك تحدثه كي تطمئن عليه ويطمئن عليك.

الرجل الأول: أه أيها الولد... لكم أشتقت إليك.

الرجل الثاني : سيأتي هو وأمه ليأخذانك إلي المدينة.

الرجل الأول: كلا.. لينبغي أن تدفنني هنا... مع الرجال العظماء الذين سيزيد عليهم واحداً بين رجفة وأخري.

الرجل الثاني : أنت لا تعرف كم هي جميلة مدينتنا... نعم أنها جميلة برغم البقع الصفراء التي تعلو وجهها.. أقسم أنها ستروقك .

الرجل الأول: في شبابي كنت عضواً بفريق الكشافة مثلك وكانت هذه الصحراء تروقني لأنها طيبة رغم الذئاب واللصوص وظلال الغزاه التي تلوح بين الحين والأخر...

الرجل الثاني : لا تجهد نفسك بالكلام حتي يأتي المدد من القيادة.

الرجل الأول: ربما نسيتني القيادة لكني لم أنسي واجبي قط... وأنت كذلك أظنك لن تنسي.

الرجل الثاني : أرجوك.

الرجل الأول: أرجوك انت... فالأجل يقترب... فأسمع أخر كلماتي أن هذه القرية قريتك.. لن تموت ما دمت انت فيها... أنها عرينك الذي لم يجرؤ أحد علي اختراقه ما دام الأسد يحرسه... أنتظر الغزاه أنهم قادمون لا محاله وستهزمهم هذه المرة... أجل لن يهزموك.. انا واثق من ذلك.. ولا تنس الولد.. أنتظر رسالة فهو حتماً سيرسل وحاول ان تصلح الجهاز كي تراسله وتطلب المدد من القيادة.... ؟ (يتألم) ولا تنسي أن تؤدي التحية العسكرية للرجال العظام... فهي واجب عليك كما كانت واجب علي.. (يزداد المه) والذئب إياك أن تطلق عليه النار إلا إذا هاجمك... فهكذا يكون الحارس النبيل الذي يليق بمكان عزيز كهذا...

(يلهث بشده... تتحشرج أنفاسه)

(الرجل الثاني يهرول نحو جهاز الإتصال ويحاول التحدث خلاله بطريقة هستيريه)

الرجل الثاني : ألو.. ألو.. ألو قيادة.. ألو...

(يموت الرجل الأول)

(الرجل الثاني يصرخ صرخة مكتومة)

(يأتي عواء الذئب من الخارج... الرجل الثاني يجري مجنوناً نحو البندقية ويلتقطها.. تظهر الظلال علي الخلفية... الرجل الثاني يصوب البندقية في أتجاهات مختلفة ويضغط علي الزناد عدة مرات فلا يخرج الرصاص... يفتح البندقيه فيكتشف انها فارغة.. تأخذه نوبه ضحك هستيري... يعلو عواء الذئب وتزداد حركة الظلال علي الخلفية ويواصل الرجل الثاني ضحكه... يستمر ذلك لحظات ثم تتلاشي الأضاءة تدريجياً... يتحول الضحك إلي صدي صوت ويتداخل مع عواء الذئب يستمر ذلك ما يقرب من دقيقة ثم يخفت تدريجياً)

-7-

وقت الغروب.

السماء شاحبة، والشمس تتوهج بلون برتقالى تماما

كما كانت في اللوحة 1

القبور أصبحت أربعة بدلا من ثلاثة.

(الرجل الثانى يذرع المكان بخطى عسكرية نشطة للغاية.. إنه فى نوبة حراسة و قد أصبح مشابها تماما للرجل الرجل الأول، فشعره الأبيض المهوش مغطى بالبيريه "القلنسوة" ولحيته شديدة البياض تغطى عنقه، وعلى صدره نفس الأوسمة العسكرية، يتحرك في المكان ممسكا البندقية بنفس الحماس والنشاط الذى كان عليه الرجل الأول..يتوقف أمام القبور الأربعة، ويؤدى التحية العسكرية ثم يواصل الخطو، يأتى عواء الذئب فيصوب البندقية في اتجاهات مختلفة دون أن يطلق عليه النار.. إنه يقوم بنفس افعال الرجل الأول و كذلك بنفس إيماءته.. يتلاشى عواء الذئب، فيواصل الرجل الثانى نوبة الحراسة.. يتوقف أمام القبور ويؤدى التحية العسكرية

ثـم يواصـل.. بعـد لحظـات يتوقـف ويتطلـع جهـة اليسار ،يظلل عينيه بكفه كأنما يراقب شيئاما بالأفق.. يهرول إلى جهة اليمين ويتوارى خلف القبور.. يدخل الرجل الثالث من جهة اليسار وهو شاب في مقتبل العمر لـه نفس هيئة الرجل الثانى عندما ظهر فـي اللوحة 1.. يبدو متعبا، فهو يلهث بصوت مسموع.. يتطلع في المكان مستغربا..يمسح جبهته بظهر يده، ثم يظهر الثانى متسللا من وراءه، يفاجئه مصوبا البندقية نحوه)

الرجل الثاني : (بنبرة آمرة) قف عندك.

الرجل الثالث : (يتوقف مرتبكا)

الرجل الثاني: إستدر وإياك أن تجرى.

الرجل الثالث : (ينفذ)

الرجل الثاني: (يقترب منه مثبتا البندقية في رأسه) من أنت ؟.

الرجل الثالث : (يهم بالكلام فيقاطعه الرجل الثانى)

الرجل الثاني: (بحدة) لا تتكلم (لحظة صمت) ما الذى أتى بك الى هنا؟

الرجل الثالث : (يهم بالكلام فيقاطعه الثانى مرة أخرى)

الرجل الثاني: (بحدة بالغة) قلت لا تتكلم.

الرجل الثالث : (يهز رأسه مرتبكا)

(الرجـل الثـانى يـدور حـول الرجـل الثالـث عـدة دورات متأملا إياه، اثناء ذلك تتلاشى الاضاءة تدريجيا)

انتهت

يوسف مسلم

القاهرة . صيف 2004